o اجتهاده في العبادة وزهده وورعه؛ فقد كان تقيًّا نقيًّا عابدًا لله يلتزم ويُطبِّق ويقتدي ويعمل على نهج رسول الله ﷺ، وبهذا النهج في الالتزام تقدم أبو هريرة علميًّا.

o سلامة منهجه العلمي؛ فلقد حافظ أبو هريرة على ما عنده من معلومات، لم يَشُبْها بشيء يجعل الصحابة والتابعين يشكُّون فيه، أو يُنفِّرهم منه، وذلك ببركة النبي ﷺ ومعجزته وبشارته له بعدم النسيان كما في حديث بسط الرداء.

• من المعروف أن أبا هريرة كان من فقهاء الصحابة؛ ولذلك نُقِلت عنه الفتوى، حتى إن ابن عباس ـ وهو حبر الأمة ـ كان يتأدب معه ويقدمه في الفتوى، قائلًا: "أفت يا أبا هريرة"، وقال الذهبي في ترجمته له: "الإمام الفقيه المجتهد"، ثم يتساءل ونحن معه: "أين مثل أبي هريرة في حفظه وسعة علمه"؟!

• كان أبو هريرة عالمًا فقهيًا ضابطًا مجتهدًا، يفتي في أدق المسائل في عهد الخلفاء الراشدين، ومعلوم أن هذا العصر لم يكن يفتي فيه إلا فقيه مشهود له بالفقه والاجتهاد.

• لقد أفتى أبو هريرة فيمن أصبح جُنُبًا وهو صائم ـ مناط الاستدلال ـ بما رواه عن الفضل عن النبي ﷺ وكان ذلك في أول الإسلام ثم نُسخ بعد ذلك بحديث عائشة، ويبدو أن أبا هريرة والفضل لم يكونا قد سمعا حينئذ بالنسخ، فحكم أبو هريرة بما علم.

• أما كون أبي هريرة لم يصرح بأنه سمع الحديث من الفضل ولم يسمعه من النبي ﷺ فإن هذا من مُرسَل الصحابة، وهو مُجمع على الاحتجاج به، وقد كان يفعله كل الصحابة دون أن يروا غضاضة في ذلك؛ لعدالتهم جميعًا.

• إن السيدة عائشة رضي الله عنها لم تنكر على أبي هريرة ذلك، وإنما هو من استدراكاتها التي كانت تستدركها على كبار الصحابة ﷺ؛ فليس أبو هريرة بدعًا في ذلك.

الشبهة التاسعة

دعوى أن كثرة مِزاح أبي هريرة مما يُسقط العدالة(*)

مضمون الشبهة:

يدَّعي بعض المغالطين أن أبا هريرة ﷺ كان مهذارًا، كثير المزاح كثرة تُسقط عدالته؛ لأن كثرة المزاح من خوارم المروءة، بل من خوارقها، كما أن كثرة المزاح تُميت القلب، ومن مات قلبه سقطت عدالته، ويستدلون على ذلك بما ادَّعوه من إجماع المؤرخين على أن أبا هريرة كان رجلًا مزَّاحًا مهذارًا يتودد إلى الناس ويسليهم بكثرة الحديث والإغراب في القول ليشتد ميلهم إليه. ويرمون من وراء ذلك إلى الطعن في عدالته ﷺ توصُّلًا إلى الطعن فيما جاء عنه من مرويات؛ إذ العدالة شرط لصحة الرواية.

(*) الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي الحديث، محمد حمزة، مرجع سابق. السنة المطهرة والتحديات، د. نور الدين عتر، دار المكتبي، سوريا، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتَّاب المعاصرين، د. محمد محمد أبو شهبة،مرجع سابق. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، مرجع سابق.

وجوه إبطال الشبهة:

١) إن دعوى إجماع المؤرخين على أن أبا هريرة ﷺ كان مزَّاحًا مهذارًا ـ افتراء على التاريخ والمؤرخين؛ لأنه لم يقل بهذا أحد من العلماء الأثبات، ولم تأت رواية صحيحة في هذا الشأن؛ فهي إذن دعوى لا دليل عليها.

٢) إذا كان المزاح نوعين: نوع ساقط مبني على المجازفة، وعدم الاحتراز في اللفظ، وهذا النوع ترفع عنه أبو هريرة وأبته تقواه وعدالته التي عدَّله بها الله ورسوله. ونوع ثانٍ عالٍ طريف ليس فيه إسفاف ولا إيذاء لأحد، وأكثره من المعاريض التي تدعو إلى إعمال الفكر، فهو من قبيل الدعابة والروح المرحة الخفيفة التي لا تَسْقُط بها العدالة، وهذا النوع هو ما استخدمه أبو هريرة أحيانًا، فلماذا الطعن بسببه وقد كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا؟!

٣) المزاح في الإسلام ليس مكروهًا بإطلاق، وإلا لكانت غلاظة الحس وفظاظة الطبع والقلب وثقل الروح أمرًا محبوبًا؛ ولذا لم يخلُ عصر من العصور من وجود علماء أجلاء فيهم روح الدعابة والمرح الذي لا يخلُّ بالمروءة، فلماذا يَنقمون على أبي هريرة؟! وما ينقمون منه شيئًا إلا شيئًا لا يُعاب به شخص أصلًا.

التفصيل:

أولا. الإجماع على عدالة أبي هريرة ﷺ ومروءته:

إن دعوى إجماع المؤرخين على أن أبا هريرة ﷺ كان مهذارًا مزَّاحا بدرجة تُسقط العدالة ـ افتراء على أبي هريرة ﷺ وعلى التاريخ؛ "لأن أحدًا لم يصف أبا هريرة قط بأنه كان مهذارًا، ونحن نتحدَّى المدَّعين بأن يأتونا برواية صحيحة في هذا الشأن، ومازلنا ولا نزالُ نتحدَّى المدَّعين بأن يأتونا بصحابي أو تابعي أو مؤرخ موثوق به وصف أبا هريرة ﷺ بالهذر"[١].

إن هذه دعوى كاذبة لا تقوم علي دليل أو تستند إليه، ولم نجد أحدًا من العلماء الأثبات قال شيئًا من هذا، فهذا ابن عبد البر في "الاستيعاب"[٢] لم يذكر شيئًا منه، وهذا الحافظ ابن حجر في "الإصابة"[٣] لم يذكر إلا ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب "المزاح" والزبير بن بكار فيه، من طريق ابن عجلان عن سعيد عن أبي هريرة أن رجلًا، قال له: "إني أصبحت صائمًا، فجئت أبي فوجدت عنده خبزًا ولحمًا، فأكلتُ حتى شبعت ونسيت أني صائم، فقال أبو هريرة: الله أطعمك، قال: فخرجت حتى أتيت فلانًا، فوجدت عنده لقحة تحلب فشربت من لبنها حتى رويت، قال: الله سقاك، قال: ثم رجعت إلى أهلي وثقلت، فلما استيقظت دعوت بماء فشربته، فقال يابن أخي: أنت لم تتعود على الصيام"[٤]، وبعد أن أورد ابن حجر هذه الإجابة على طرفتها وحُسن صنيع أبي هريرة مع السائل لم يصفه ابن حجر بأنه مزَّاح مهذار، أو أن ذلك يقدح في شيء من مروءته وعدالته، حاشاه أن يفعل ذلك؛ إذ إنه من مناقب أبي هريرة، ولطائف أخلاقه في إجابة السائل، وهل في هذه الإجابة الصائبة شيء من المزاح الخارج أو الهذر الخارم للمروءة المسقط للعدالة؟!

---

١. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص٣٩ بتصرف.

٢. انظر: الاستيعاب، ابن عبد البر، مرجع سابق، (٤/ ١٧٦٨: ١٧٧٢).

٣. انظر: الإصابة، ابن حجر، مرجع سابق، (٧/ ٤٢٥: ٤٤٥).

٤. المرجع السابق، (٧/ ٤٤٣).

وأما ابن كثير في "البداية والنهاية"[1] فقد ذكر ما جاء عن أبي هريرة من قصص، ولم يذكر قط أنه كان مزَّاحًا مهذارًا، وأنَّى لهؤلاء العلماء الأجلَّاء أن ينطقوا بمثل هذا القول في حق صحابي جليل؟[2].

إن أبا هريرة لم يكن إنسانًا عاطلًا أو يعيش بلا هدف وغاية حتى يكون مهذارًا مزَّاحًا ـ كما يود أعداء السنة أن يُوهموا الناس ـ بل كانت وظيفته التي ارتضاها لنفسه من أجلِّ الوظائف وأسمى الأعمال، وهذه الوظيفة لم تُبق له فراغًا في حياته حتى يحتاج إلى ملئه بالمزاح المذموم، وإن استخدم الطرفة ـ نادرًا ـ كأداة لتنشيط أذهان الناس من أجل توصيل العلم إليهم بلا سآمة، ولتقبلها النفوس بلا ملل، فلم تكن الدعابة لذاتها بل لغرض نبيل وراءها.

لقد كان أبو هريرة ﷺ واحدًا من علماء الصحابة الكرام الذين تحملوا أمانة الدعوة وتبليغ العلم عن رسول الله ﷺ، بل كان من أكثرهم نشاطًا في هذا المجال؛ ذلك لسعة علمه وتصدُّره لتبليغ العلم وتعليمه للناس؛ خوفًا من تبعات كتمان العلم؛ فقد روي عنه أنه قال: "وايم الله، لولا آية في كتاب الله ما حدثتكم بشيء أبدًا، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ (البقرة)"[3].

ولهذا سلك أبو هريرة ﷺ كل السبل الممكنة للدعوة إلى الدين، وتبليغ ما تلقاه عن رسول الله ﷺ من علم ومعرفة، فتراه يعظ ويُحدِّث في كل مكان يتسنَّى له التحديث فيه، في البيت والمسجد، والسوق وغيره من الأماكن التي يستطيع التحديث والوعظ فيها.

فقد روى الإمام أحمد عن عكرمة، قال: "دخلت على أبي هريرة في بيته، فسألته عن صوم يوم عرفة بعرفاتٍ، فقال: نهى رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات"[4].

وروى الحاكم عن عاصم بن محمد عن أبيه، قال: "رأيت أبا هريرة ﷺ يخرج يوم الجمعة فيقبض على رمانتي المنبر قائمًا، ويقول: حدثنا أبو القاسم رسول الله ﷺ الصادق المصدوق، فلا يزال يحدث حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس"[5].

وروى البخاري في تاريخه الكبير عن محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم: "أنه قعد في مجلس فيه أبو هريرة، وفيه مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبي ﷺ"[6].

وروى أحمد والبخاري عن سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ قال: "ما أدري كم رأيت أبا هريرة قائمًا في السوق، يقول: يُقبض العلم، وتظهر الفتن، ويكثر

---

١. البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، (٤/ ٥٨٧: ٥٩٩).

٢. دفاع عن السنة،د. محمد محمد أبو شهبة، مرجع سابق، ص١٨٥، ١٨٦ بتصرف.

٣. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، (١٤/ ١٢٢: ١٢٣)، رقم (٧٦٩١). وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

٤. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، (١٥/ ١٨٠)، رقم (٨٠١٨). وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

٥. صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب: معرفة الصحابة ﷺ، باب: ذكر أبي هريرة الدوسي، (٣/ ٥٨٥)، رقم (٦١٧٣). وصحح إسناده الذهبي في التلخيص.

٦. التاريخ الكبير، البخاري، مرجع سابق، (١/ ١٨٦).

الهَرْج[1]، قال: قيل: يا رسول الله، وما الهَرْج؟ قال: بيده هكذا، وحرَّفها"[2].

وعن مكحول قال: "تواعد الناس ليلة إلى قُبَّة من قباب معاوية، فاجتمعوا فيها، فقام فيهم أبو هريرة يُحدِّثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبح"[3].

ولم يقتصر أبو هريرة ﷺ في التحديث والوعظ والإرشاد على الرجال، وإنما تعدَّاهم إلى النساء فحدَّثهن ووعظهن بما يحتجن إليه ويتعلق بهن من أمور.

فقد روى ابن ماجه عن عبيد مولى أبي رُهْمٍ "أن أبا هريرة لقي امرأة مُتطيبة تريد المسجد، فقال: ياأمة الجبار، أين تريدين؟ قالت: المسجد، قال: وله تطيبت، قالت: نعم، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أيما امرأة تطيَّبت، ثم خرجت إلى المسجد لم تُقبل لها صلاة حتى تغتسل"[4].

وروى الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن كريمة بنت الحسحاس، قالت: سمعت أبا هريرة في بيت أم الدرداء يقول: "ثلاثة هن كفرٌ: النياحة، وشَقُّ الجيب، والطعن في النسب"[5].

وهكذا بيَّن أبو هريرة ﷺ للمرأة المتطيبة عدم مشروعية خروجها من بيتها متطيبة ولو كان خروجها لأداء الصلاة في المسجد، وأمرها بالرجوع إلى بيتها والاغتسال من الطِّيب إن هي شاءت العودة إلى المسجد، وحَرِيٌّ بنسائنا المؤمنات اليوم أن يحرصن على هذا.

كما حذَّر النساء اللاتي وجدهن في بيت أم الدرداء التابعية الفاضلة زوج أبي الدرداء الصحابي الجليل ﷺ"من ثلاثة أمور تتعاطاهن النساء، وهن من عادات الجاهلية التي حرمها الإسلام وساواها بالكفر، لأنها توصل من يتفوه بها إلى النار، كما يوصل الكفر صاحبه إليها، وقد نهج في ذلك المنهج التربوي الدعوي الأول، الذي أرسى دعائمه الرسول ﷺ، وقد تفنن ﷺ في أساليب الدعوة"[6] كما ترى.

فهل بعد ذلك النشاط الدَّعوي والاجتهاد الفقهي - ومدارسة العلم وتدريسه وتبليغه للناس - يمكن أن ينطلي على أحد من المسلمين أن أبا هريرة كان لا عمل له إلا المزاح المخلّ بالمروءة أو غير ذلك من مزاعم أعداء السنة وافتراءاتهم الباطلة ؟!

هذه كلمة الحق في راوية الإسلام أبي هريرة ﷺ وهذا هو ما ذهب إليه أئمة الهدى وأعلام التُّقى، وكبار فقهاء الإسلام ومحدثيه، وهو الصحابي الذي ظل يُحدِّث الناس؛ فقد بلغ الآخذون عنه ثمانمائة من أهل العلم والمعرفة، وكلهم يُجمعون على جلالته والثقة به، ثم تأتي شرذمة لا حظَّ لها من العلم والمعرفة لتدَّعي أنه كان مهذارًا مزَّاحًا، لا لشيء إلا أنهم لم يجدوا ما يعيبونه به، بعد أن بطل كيدهم ورُدَّ عليهم في نحورهم،

---

١. الهرج: القتل.

٢. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، (١٤/ ٢٥٧)، رقم (٧٨٥٩). وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

٣. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، (٢/ ٥٩٩).

٤. صحيح: أخرجه ابن ماجه، في صحيحه، كتاب: الفتن، باب: فتنة النساء، رقم (٤٠٠٢). وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٧٠٣).

٥. سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، (٢/ ٥٨٦).

٦. أبو هريرة صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، د. حارث سليمان الضاري، ص٢٩.

فجعلوا من لطافة أخلاقه، وطيب معشره مدخلًا للنيل منه، فوصفوه بأنه كان مزَّاحًا مهذارًا مع أنه ذو خلق كريم أكرمه الله به، وحبَّبه به إلى المؤمنين، ومتى كان المزاح المباح، والتلطف إلى الناس والتودد إليهم خُلقًا معيبًا عند كرام الناس؟ وقد كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقًا، ومع هذا كان يُمازح أصحابه ولا يقول إلا حقًّا، وكذلك كان الصحابة ﷺ، فما هو الحرج في المزاح إذا كان مباحًا، لا بذاءة فيه، ولا تنابذ بالألقاب، أو انتقاص من أحد؛ وهو من الدعابة والفكاهة المشروعة، وكل الذي ثبت عن أبي هريرة ﷺ، إنما هو من هذا القبيل، وأما المزاح الساقط المشتمل على المجازفة ورديء القول والفعل فحاشا أن يكون ممَّن عُرِفَ به.

وَضَحَ إذن أن ما ادّعاه المغرضون إن هو إلا تَجَنٍّ وجدال بالباطل ليدحضوا به الحق، وليس له أساس من الصحة®.

ثانيًا. مزاح أبي هريرة إنما هو من المرح الخفيف الذي لا يُسقط العدالة:

لقد كان مزاح أبي هريرة مِزَاحًا عاليًا مفيدًا طريفًا لا إسفاف فيه ولا إيذاء لأحد، ومما ينبغي أن يُعلم أن المزاح نوعان: نوع ساقط مبني على المجازفة وعدم الاحتراز في اللفظ، وهو الذي يخلُّ بالصدق والأمانة، ولم يكن لأبي هريرة منه شيء، ونوع عالٍ طريف لا إسفاف فيه ولا إيذاء لأحد، وأكثره من المعاريض التي تدعو إلى إعمال الفكر والروية، وتبين مقدار الذكاء والفطنة وهذا مقبول، وهو ما أُثِر عن النبي ﷺ وبعض صحابته الكرام في الحديث الشريف حيث قالوا له: "إنك تداعبنا، قال: إني لا أقول إلا حقًّا"[1].

وقد قال الإمام النووي: "قال العلماء: المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط، ويداوم عليه، فإنه يُورث الضحك وقسوة القلب، ويشغلُ عن ذكر الله تعالى والفكر في مهمَّات الدين، ويئول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد ويُسقط المهابة والوقار.

فأما ما سلم من هذه الأمور فهو المباح الذي كان رسول الله ﷺ يفعله في نادر من الأحوال، لمصلحة وتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهذا لا منع فيه قطعًا، بل هو سنة مستحبة إذا كانت بهذه الصفة، فاعتمد ما نقلناه عن العلماء، وحققناه في هذه الأحاديث وبيان أحكامها، فإنه مما يعظم الاحتياج إليه، وبالله التوفيق"[2].

إن المزاح الذي لا يخلُّ بمروءة ولا بدين ليس نقيصة تستوجب تضعيف الرواة أو جرحهم، وقد كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا، وقد أَذِنَ ﷺ لعبد الله بن عمرو أن يكتب عنه الحديث في الرضا والغضب،

® في **"أمانة أبي هريرة في التحديث وأسباب كتمانه لبعض الأحاديث"** طالع: الوجه الأول، من الشبهة الثانية عشرة، والوجه الأول، من الشبهة السادسة عشرة، من هذا الجزء. وفي **"ثبوت عدالة أبي هريرة وضبطه وثقته"** طالع: الوجه الرابع، من الشبهة الحادية عشرة، والوجه الأول، من الشبهة الخامسة عشرة، من هذا الجزء. وفي **"أبو هريرة ونشر العلم بين الناس وتفقيه المسلمين في البحرين"** طالع: الوجه الأول، من الشبهة الرابعة، والوجه الثاني، من الشبهة الثانية عشرة، من هذا الجزء.

١. صحيح: أخرجه الترمذي في سننه (بشرح تحفة الأحوذي)، كتاب: البر والصلة، باب: ما جاء في المزاح، (٦/ ١٠٧، ١٠٨)، رقم (٢٠٥٨). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (١٩٩٠).

٢. كتاب الأذكار، النووي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص٣٢٦.

وقال: "فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق"[1][2].

وعلى هذا النهج الواضح سار أبو هريرة ﷺ فلم يكن جافًّا قاسي الفؤاد، خشن الطباع، سيء المعشر، بل كان طيب النفس، حسن الخُلق، صافي السريرة، وربما كان الفقر والصبر عليه هما اللذان جعلا منه الإنسان المرح، يسرِّي عن نفسه أحيانًا همومها ومصابها، ومع هذا فقد كان يعطي لكل شيء حقَّه، لا يخاف في الله لومة لائم، سواء أكان أميرًا أم فردًا من الرعية فقيرًا؛ فقد نظر إلى الدنيا بعين الراحل عنها، فلم تدفعه الإمارة إلى الكبرياء، بل أظهرت تواضعه وحسن خلقه.

لقد كان ﷺ "يحب مداعبة أصحابه بلطف وأدب دعابة تقبلها النفوس الطيبة وترى فيها ما يُجدِّد النشاط، وما يدخل عليها السرور والحبور، فهو بذلك يروِّح عن نفسه وعن غيره، من غير أن يمس شعور الآخرين بما يسيء إليهم"[3]. وكما كان النبي ﷺ يُعلِّم أصحابه كثيرًا من أمور العلم خلال المداعبة والممازحة، فكذلك كان يفعل أبو هريرة ﷺ اقتداء به ﷺ.

وهذا مثال من مزاح أبي هريرة ﷺ لنرى أن مزاحه ما كان يخلو عن علم وحكمة، روى الإمام أحمد "أن أبا هريرة كان في سفر، فلما نزلوا أرسلوا إليه وهو يُصلِّي، فقال: إني صائم، فلما وضعوا الطعام وكاد أن يفرغوا، جاء، فقالوا: هلمَّ فكلْ، فأكل، فنظر القوم إلى الرسول، فقال: ما تنظرون ؟! والله لقد قال إني صائم، فقال أبو هريرة: صدق، وإن رسول الله ﷺ قال: صوم شهر الصبر وصوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله؛ فقد صمت ثلاثة أيام من أول الشهر، فأنا مفطر في تخفيف الله، صائم في تضعيف الله"[4] فانظر إلى هذا المزاح العالي، وقد وصل منه إلى غرضين شريفين:

الأول: أن يتركوه يُتِم ما يريد.

الثاني: إفادتهم هذا الحكم الشرعي، وتعليمهم هداية من هدايات رسول ربِّ العالمين ﷺ بهذا الأسلوب المشوِّق البارع، فأي هذْر فيه؟! وهل الدعابة التي اتخذها أداة لتوصيل المعلومة في جوٍّ من الأريحية تُعاب عليه، أم تُعدُّ من لطائفه ومحاسن مسالكه في التعليم والرواية؟!

ومثال آخر: عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن يزيد بن زياد القُرظي: حدثني ثعلبة بن أبي مالك القرظي، قال: "أقبل أبو هريرة في السوق يحمل حزمة حطب، وهو ـ يومئذ ـ خليفة لمروان على المدينة، فقال: أوْسِعِ الطريق للأمير يابن أبي مالك، فقلت: يكفي هذا، فقال: أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه"[5].

فهل يقتضي هذا أن يكون مزَّاحًا مهذارًا؟! وهل قال الرجل إلا الصدق؟! أليس نائب الأمير أميرًا؟ ألم يكن

---

١. صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود)، كتاب: العلم، باب: كتابة العلم، (٦/ ٥٧)، رقم (٣٦٤١). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٣٦٤٦).

٢. كيف ولماذا التشكيك في السنة، د. أحمد عبد الرحمن، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٢١ بتصرف.

٣. أبو هريرة راوية الإسلام، د. محمد عجاج الخطيب، مرجع سابق، ص٩٥، ٩٦.

٤. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم (١٠٦٧٣). وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

٥. حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني، مرجع سابق، (١/ ٣٨٤، ٣٨٥).

يحمل حزمة الحطب؟ ثم أليس حمله حزمة الحطب من التواضع الجمّ[1]؟!

لقد كان النبي ﷺ أكثر الناس تبسمًا وضحكًا في وجوه أصحابه، فكان ﷺ يُداعبهم في بعض الأحيان ويمازحهم، ولكنه ما كان يقول إلا حقًّا، وما أعذب الدعابة المعلِّمة، والإحماضة الهادية المبصِّرة، فإن الجد الدائم يورث رَهَق الذهن، وكَلَل الفكر، فالمزاح اللطيف الهادي بين الحين والحين، يعيد إلى الإنسان نشاطه وانتباهه.

وقد قال ابن قتيبة: "إنما كان رسول الله ﷺ يمزح؛ لأن الناس مأمورون بالتأسي به والاقتداء بهديه، فلو ترك الطلاقة والبشاشة، ولزم العبوس والقطوب، لأخذ الناس أنفسهم على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء؛ فمزح ليمزحوا، وكان لا يقول إلا حقًّا"[2].

فهل فعل أبو هريرة ﷺ إلا الاقتداء بالنبي ﷺ والتأسي به، والمؤمنون مأمورون بذلك، قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ (الأحزاب).

لقد تناسى المدَّعون ـ بل تعمدوا إغفال ـ ثناء العلماء الأجلاء الذين شهدوا لأبي هريرة ﷺ بالفضل والدين والعلم، قال الذهبي: "هو رأس في القرآن الكريم، وفي السنة، وفي الفقه، وقال: أين مثل أبي هريرة في حفظه وسعة علمه"[3]؟!

يقول الحافظ ابن كثير: "وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم"[4].

وقال يحيى بن أبي بكر العامري (ت: ٨٩٣هـ) عنه: "وكان حافظًا متثبتًا ذكيًّا مفتيًا، صاحب صيام وقيام"[5].

وقال المؤرخ عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي (ت: ١٠٨٩هـ) عنه أيضًا: "كان كثير العبادة والذكر، حسن الأخلاق"[6].

أندع إذن ثناء هؤلاء العلماء الأجلاء وكلام هؤلاء الأثبات، ونأخذ بكلامٍ لا دليل عليه؛ إنما هو مرض في القلوب وهوى في النفوس، ولكن يأبى الله إلا أن يفضحهم، قال الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ (محمد) ®.

ثالثًا. المزاح في الشريعة الإسلامية:

إن الدعابة اللطيفة "تروِّح عن الإنسان وتلطِّف من

---

١. دفاع عن السنة، د. محمد محمد أبو شهبة، مرجع سابق، ص١٨٨، ١٨٩.

٢. الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، ابن علاَّن، (٦/ ٢٩٧)، نقلًا عن: الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٦٢.

٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، (٢/ ٦٠٩).

٤. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م، (٨/ ١١٠).

٥. الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة، يحيى العامري اليمني، ص٧٠.

٦. شذرات الذهب، ابن العماد، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، (١/ ٥٧).

® في "**اجتهاد أبي هريرة في العبادة وتقواه وورعه**" طالع: الوجه الثاني، من الشبهة الرابعة، والوجه الأول، من الشبهة الثامنة، من هذا الجزء.

ثقل المتاعب التي تنتابه أو تصاحبه، فإن الحياة لا تخلو من المرارة والمكاره؛ فالدعابة تخفِّف من وطأة ذلك على النفس، والمرء يتعلَّم بالابتسام والبِشر أكثر مما يُتَعلَّم بالعبوس والقطوب"[1].

إن الإسلام دين واقعي لا يحلِّق في أجواء الخيال المثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنسان على أرض الحقيقة والواقع، ولا يُعامل الناس كأنهم ملائكة، لا يخطئون ولا يعصون الله ما أمرهم؛ لذلك لم يفرض على الناس أن يكون كل كلامهم ذكرًا، وكل صمتهم فكرًا، وكل فراغهم في المسجد، وإنما اعترف بهم وبفطرهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها.

والمِزاح: مصدر للفعل "مازح" بمعنى: داعب في مباسطة وتلطُّف، والمُزاح: مصدر للفعل "مزح"بمعنى: داعب أيضًا، كما يُطلق المزاح على وسيلة المُداعبة والمباسطة[2]، فالمزاح يدور معناه حول المباسطة والملاعبة والتلطف، ووسائله متنوعة، فقد يكون بابتسامة، أو نادرة، أو مُلْحة[3] أو بإشارة أو حركة يُراد بها المباسطة وإدخال السرور على قلب المسلم. قال ﷺ: "وتبسُّمُك في وجه أخيك لك صدقة"[4].

فالمزاح أمر مشروع في الإسلام، يُعد صدقة من الصدقات يُؤجر عليها المسلم، ولكن لذلك شروط وضوابط، والحكمة من مشروعيته؛ أن فيه إدخالًا للسرور على قلب المسلم ويُستعان به على التخلص من السأم والملل، وطرد الوحشة، ودفع الهمِّ والخوف والقلق ونحوه عن قلب المسلم، وفيه تأليف القلوب، فتنشط النفوس، وتتهيأ الأجساد لأداء الأعمال الصالحة.

الهدي النبوي في المزاح:

وتستمد مشروعية المزاح أولًا من أفعال الرسول ﷺ وأقواله، فعن عبد الله بن الحارث ﷺ قال: "ما رأيت أحدًا أكثر تبسُّمًا من رسول الله ﷺ"[5]، وروى البخاري أن الرسول ﷺ مازح صحابيًّا فقال: "يا أبا عُمير، ما فعل النُّغَيْرُ"[6]، كما روى الترمذي من حديث أنس ﷺ "أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، احملني، فقال: إني حاملك على ولد ناقة، قال: وما أصنع بولد الناقة؟ فقال النبي ﷺ: وهل تلدُ الإبل إلا النوق"[7].

وكان النبي ﷺ يرى مزاح صحابته، ولم ينكر عليهم ذلك، وربما شاركهم مزاحهم؛ فقد روى أبوداود عن أسيد بن حُضير، قال: "بينما رجل من الأنصار يُحدِّث

---

١. الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم، عبد الفتاح أبو غدة، مرجع سابق،ص١٦١.

٢. انظر: تاج العروس، الزبيدي، مادة "مزح".

٣. المُلْحة: الطُّرفة.

٤. صحيح: أخرجه الترمذي في سننه (بشرح تحفة الأحوذي)، كتاب: البر والصلة، باب: صنائع المعروف، (٦/ ٧٥)، رقم (٢٠٢٢). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (١٩٥٦).

٥. صحيح: أخرجه الترمذي في سننه (بشرح تحفة الأحوذي)، كتاب: المناقب، باب: في بشاشة النبي ﷺ، (١٠/ ٨٦)، رقم (٣٨٨٥). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣٦٤١).

٦. صحيح البخاري (بشرح فتح الباري)، كتاب: الأدب، باب: الانبساط إلى الناس، (١٠/ ٥٤٣)، رقم (٦١٢٩). والنُّغَيْرُ: تصغير نغر، وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار.

٧. صحيح: أخرجه الترمذي (بشرح تحفة الأحوذي)، كتاب: البر والصلة، باب: المزاح، (٦/ ١٠٨، ١٠٩)، رقم (١٩٩١). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (١٩٩١).

القوم، وكان فيه مزاح بيِّنا يُضحكهم، فطعنه النبي ﷺ في خاصرته بعود، فقال: أصبرني[1]! فقال: اصطبر[2]، قال: إن عليك قميصًا وليس عليَّ قميص؛ فرفع النبي ﷺ عن قميصه، فاحتضنه وجعل يقبِّل كشحه، قال: إنما أردتُ هذا يا رسول الله"[3].

عن عائشة قالت: "رجع إليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد صداعًا في رأسي، وأنا أقول وارأساه، قال: بل أنا وارأساه، قال: ما ضرك لو متِّ قبلي، فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك، قلت: لكني أو لكأني بك والله لو فعلت ذلك لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك. قالت: فتبسم رسول الله ﷺ ثم بُدئ بوجعه الذي مات فيه"[4].

وعن أنس ﷺ: "أن رجلًا من أهل البادية كان اسمه زاهرًا، كان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه ﷺ إذا أراد أن يخرج، فقال النبي ﷺ: إن زاهرًا باديتنا[5]، ونحن حاضروه[6]، وكان النبي ﷺ يحبه، وكان رجلًا دميمًا، فأتاه النبي ﷺ يومًا، وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال الرجل: أرسلني، مَنْ هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه، وجعل النبي ﷺ يقول: من يشتري العبد ؟ فقال: يا رسول الله إذًا والله تجدني كاسدًا، فقال النبي ﷺ: لكن عند الله لست بكاسد، أو قال: أنت عند الله غال"[7].

وعن الحسن ﷺ قال: "أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز، قال: فَوَلَّتْ تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾ (الواقعة)"[8].

ومن هنا كان أصحاب النبي ﷺ يمزحون ويضحكون ويلعبون ويتندَّرون؛ معرفة بحظ النفس، وتلبية لنداء الفطرة، وتمكينًا للقلوب في حقها في الراحة واللهو البريء المباح؛ لتكون أقدر على مواصلة السير في طريق الجد، وإنه لطريق طويل.

قال علي بن أبي طالب ﷺ: "روِّحوا القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة فإنها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدان، فإنها إذا أكرهت عميت"[9]، وقال أيضًا: "روِّحوا عن القلوب

---

١. أصبرني: قدني من نفسك أو أقدرني ومكنِّي من استيفاء القصاص حتى أطعن في خاصرتك كما طعنت في خاصرتي.

٢. اصْطبر: استقد أو استوف القصاص.

٣. صحيح: أخرجه أبو داود في سننه (بشرح عون المعبود)، كتاب: الأدب، باب: القبلة في الجسد، (١٤/ ٩٠)، رقم (٥٢٢٤). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٥٢٢٤).

٤. حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عائشة رضي الله عنها، رقم (٢٥٩٥٠). وحسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

٥. أي: يستفيد معه ما يستفيد الرجل من باديته.

٦. أي: حاضرو المدينة له وهذا من حسن المعاملة.

٧. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أنس بن مالك، رقم (١٢٦٦٩). وقال عنه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

٨. حسن: أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب: ما جاء في صفة مزاح النبي ﷺ، ص١٢٨، رقم (٢٠٥). وحسنه الألباني في مختصر الشمائل المحمدية برقم (٢٠٥).

٩. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، مرجع سابق، (٢/ ١٨٣).

ساعة فإنها إذا كرهت عميت"[1]. وقال أبو الدرداء: "إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل - يقصد بالباطل: ما لا فائدة فيه إلا مجرد اللهو - ليكون أعون لها على الحق"[2].

وقد عُرف المزاح عن صحابته ﷺ، حتى اشتهر بعضهم بكثرة قصص ودُعاباته مثل: نُعيمان بن عمرو بن رفاعة الذي قال عنه ابن عبدالبر: "شهد بدرًا، وكان من كبار الصحابة، وممن آمنوا في أول ظهور الإسلام، وكانت فيه دعابة زائدة، وله أخبار طريفة في دُعاباته"[3].

وكان الصحابة يمتدحون المزاح مع الأهل، ويكثرون منه معهم دون أن يروا في ذلك ما ينقص المروءة، أو يتنافى مع كمال الرجولة والوقار، أو حُسن التديُّن والالتزام كما يظن بعض المتنطعين في زماننا هذا، فها هو عمر ﷺ يقول: "إنه ليُعجبني أن يكون الرجل في أهله مثل الصبي، ثمَّ إذا ابتغى منه وجد رجلًا"[4].

وقد ترسم السلف خُطى الصحابة في الاسترواح بالمزاح؛ فقد اشتهر الإمام الشعبي بمُلحه وطرائفه، وقيل لسفيان بن عُيينة: "المزاح هُجْنة، قال: بل سنة، ولكن الشأن فيمن يُحسنه ويضعه مواضعه"[5].

شروط المزاح:

يقصد سفيان بالسنة - هنا - طريقة النبي ﷺ وإلا فالمزاح يكون واجبًا أحيانًا؛ إذا استعين به على دفع الملل ومواصلة العبادة وأداء الواجبات، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ولنا وقفة مع قوله: "ولكن الشأن فيمن يحسنه ويضعه مواضعه"؛ حيث يشير سفيان إلى أن للمزاح شروطًا ينبغي الالتزام بها، وإلا كان محذورًا منهيًّا عنه، ومن هذه الشروط:

١. ألا يقترن بمعصية أو يؤدي إلى مخالفة شرعية، كالكذب؛ فقد يلجأ بعض المازحين إلى المبالغات والكذب، فيدخل على النكتة أو النادرة زيادات من عنده وصياغات خاصة كأنه يعيد إخراجها، كل ذلك ليعطي لمزاحه نكهة ومذاقًا خاصًا، فيشتد الناس في الضحك، ويتعجبون لمزاحه، وقد توعد الرسول ﷺ أولئك الصنف من الناس، فقال: "ويل للذي يُحدِّث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له"[6].

٢. أن يخلو من الغيبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ (الحجرات).

٣. ألا يكون فيه استهزاء بالآخرين أو سخرية منهم، فإن ذلك حرام؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ

---

١. إحياء علوم الدين، الغزالي، دار المعرفة، بيروت، د. ت، (٢/ ٣٠).

٢. تاريخ دمشق، ابن عساكر، مرجع سابق، (٤٦/ ٥٠١).

٣. الاستيعاب، ابن عبد البر، مرجع سابق، (١/ ٤٨٢).

٤. شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، مرجع سابق، (٦/ ٢٩٢).

٥. شرح السنة، الإمام البغوي، تحقيق: زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، (١٣/ ١٨٤).

٦. حسن: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، حديث معاوية بن حيدة، رقم (٢٠٠٦٧). وحسنه الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ (الحجرات).

وقال الرسول ﷺ: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقِّره... بحسب امرئ من الشر أن يحقِّر أخاه"[1].

٤. ألا يُلهي عن أداء الفروض والواجبات أو يشغل عن ذكر الله، وإلا كان محرمًا شرعًا.

آداب المزاح:

من آداب المزاح الاقتصاد فيه، إلا في السفر فيُستحب الإكثار من المزاح دون معصية؛ لقول ربيعة الرأي[2] وقد عدَّ المزاح المشروع في السفر مروءة، فقال: "إن المروءة من خصال: ثلاث في الحضر، وثلاث في السفر، والتي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، وكثرة المزاح من غير معصية"[3]، وكان الصحابة ينهون عن الإفراط في المزاح، قال سعد بن أبي وقاص لابنه ناصحًا: "اقتصد في مزاحك؛ فإن الإفراط فيه يُذهب البهاء، ويجرِّئ عليك السفهاء"، وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تُكثر الضحك؛ فإن كثرة الضحك تميت القلب"[4].

ومن آدابه كذلك ألا يكون في المزاح ترويع لأحد من المسلمين؛ لما رواه أبوداود عن ابن أبي ليلى، قال: "حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: لا يحلُّ لمسلم أن يُروِّع مسلمًا"[5].

ويُحرَّم المزاح إذا كان فيه شيء من الاستهزاء بالدين أو بشعائره؛ لقوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾ (التوبة) فقد يروق لبعض المسلمين الغافلين أن يطلق نكتة أو نادرة فيها استهزاء ببعض شعائر الإسلام وفرائضه، أو يتمازح وهو في معصية دون أن يعلم أن ذلك جرمٌ عظيمٌ قد يؤدي به إلى الكفر والعياذ بالله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من أذنب ذنبًا وهو يضحك، دخل النار وهو يبكي"[6].

ولكل مقام عنده مقال، وما أحسن الجد في موعظة، وما أجمل المزاح الذي لا تقع به إلا الأُلفة، ولا يحصل به إلا الإيناس.

فالمزاح المباح بلسم لحياة الإنسان المسلم وتخفيف لمصاعب الحياة ولو بطلاقة الوجه أو حسن الكلام.

قال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩) أي: لو كان النبي ﷺ شديدًا جافًّا مع أصحابه، آمرًا لهم ناهيًا على الدوام

---

١. صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، (٩/ ٣٦٩٤)، رقم (٦٤٢١).

٢. ربيعة الرأي: هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فروخ القرشي التَّيمي، وهو من صغار التابعين، ويُصنَّف في الطبقة الخامسة.

٣. شرح السنة، البغوي، مرجع سابق، (١٣/ ١٨٤).

٤. صحيح لغيره: أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة، رقم (٨٠٨١). وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند.

٥. صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، أحاديث: رجال من أصحاب النبي ﷺ، رقم (٢٣١١٤). وصححه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

٦. حلية الأولياء، أبو نعيم، مرجع سابق، (٤/ ٦٩).

لكان حالهم الابتعاد عنه، ولكنه كان مثالًا يُحتذى بـه في كل أحواله ومعاملاته وسلوكه ﷺ.

وما القصد بمزاحه ﷺ إلا أن يُقرِّب أصحابه إليه، ويستميل قلوبهم فيحفظوا عنه ما يقول، ويفهموا كل ما يريد.

نخلص مما سبق أن المزاح أمر مشروع ومباح في الإسلام إذا كان الغرض منه الاسترواح عن النفس، ودفع الملل والسأم والكرب عن النفوس، ويُثاب عليه صاحبه إذا ابتغى من ورائه وجه الله، ويصل إلى مرتبة الواجب؛ إذا كان للاستعانة به على أداء الواجبات، كل ذلك شرط خُلوِّه من أية مخالفات شرعية، وإلا فهو حرام منهي عنه، وعلى المسلم أن يكون مقتصدًا فيه فيوازن بين الجد والمزاح؛ إذ التوازن أمر مطلوب في الإسلام، وهو ناموس كوني، قال علي بن أبي طالب ﷺ: "خير الناس هذا النمط الأوسط: يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي"[1]. وبذا تستمر الحياة، وتتحقق الغاية من خلق الإنسان، ويفوز المسلم بالسعادة في الدارين.

فلا بأس على المسلم أن يمزح ويتفكَّه بما يشرح صدره، ولا حرج عليه أن يروِّح عن نفسه ونفوس رفقائه بلهو مباح، على ألا يجعل ذلك ديدنه وخُلقه في كل أوقاته، ويملأ بها صباحه ومساءه؛ فينشغل به عن الواجبات ويهزل في موضع الجد؛ ولذا قيل أعط الكلام من المزح بقدر ما يعطى الطعام من الملح، ولا يجعل أيضًا من أقدار الناس وأعراضهم محل مزاحه وتندره، ولا يجره المزاح أيضًا إلى الكذب[2].

وإن الناظر فيما جاء عنه ﷺ في مزاحه، يجد أنه لم يخرج عن هذا المزاح المباح الذي لا يخرج عن حدود الدين والأخلاق، والذي لا يخرق مروءة ولا يعيب دينًا، ولم نجد ذلك المزاح ـ رغم مشروعيته وبراءته ـ إلا في روايات قليلة تُعد على أصابع اليد الواحدة، فهو مزاح ليس بالمُخلِّ فضلًا عن أن يكون خارمًا للمروءة.

فلماذا ينقمون على أبي هريرة أنه كان رجلًا فيه دعابة وفكاهة ومزاح لا يخلّ بدين ولا مروءة؟

ونخلص مما سبق ذكره من آداب المزاح وشروطه وهدي النبي فيه إلى أن المزاح في الشريعة الإسلامية ليس مكروهًا ـ ما دام بضوابط شرعية ـ وإلا لكانت غلاظة الحس، وفظاظة الطبع والقلب، وثقل الروح أمورًا محببة ومحبوبة، وهذا ما لا يقول به عاقل، إلا إذا كان الله قد نزع من قلبه الرأفة والرحمة فاستعاض عنهما بتجهمه وعبوسه، وقطوب وجهه في تعامله مع الناس، وماذا نفعل لمن نزع الله من قلبه الرحمة فصار قلبه أقسى من الحجر؟!

إننا "لا نعلم أحدًا عاب هذا الأمر أو طعن فيه على أحد من أهل الدين والمروءة، فأي شيء يجرح أبا هريرة ﷺ وعدالته وكرامته؟ لعل كل جريمة الصحابي أبي هريرة ﷺ في نظر الطاعنين أنه كان خفيف الروح مما لم ينسجم مع روحهم"[3] الكئيبة، وطباعهم

---

١. أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب: الزهد، باب: كلام علي بن أبي طالب، (٧/ ١٠٠)، رقم (٣٤٤٩٨).

٢. انظر: الحلال والحرام في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٦، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٢٧٨: ٢٨١.

٣. السنة المطهرة والتحديات، د. نور الدين عتر، مرجع سابق، ص٢٦.

الفظة الغليظة®.

الخلاصة:

• إن ما ادَّعاه المغرضون من إجماع المؤرخين على أن أبا هريرة ﷺ كان مهذارًا مزَّاحًا ـ دعوى لا دليل عليها؛ لعدم وجود رواية صحيحة تثبت ذلك، فلم يقل بذلك أحد من العلماء الأثبات، فَعَمَّن حكى المدَّعون هذا الإجماع؟!

• العلماء الذين ذكروا مرح أبي هريرة وقصصه كابن كثير وابن حجر، لم يصفوه بأنه كان مهذارًا مزَّاحًا، وإنما ذكروا طُرفٍ خفيفات من المزاح المحمود الذي لا يطعن في صاحبه أبدًا، وكيف يكون أبو هريرة كثير المزاح مهزارًا، وقد كان كثير العبادة وتعليم الناس الحديث فلا يجد فراغًا لذلك أبدًا؟!

• إن عدالة أبي هريرة ﷺ التي عدَّله بها الله ورسوله تأبى أن يكون مازحًا مهذارًا بشكلٍ يُسقط عدالته ومرءوته.

• أثنى كثير من العلماء الأجلَّاء على الصحابي الجليل أبي هريرة ﷺ، وأشادوا بعبادته وورعه وزهده وتواضعه، فهل نترك كلام هؤلاء الأثبات ونأخذ بكلام أصحاب هذه الدعاوى الكاذبة التي لا تمتّ إلى الحقيقة بصلة؟!

• المزاح في الشريعة الإسلامية ليس مكروهًا ـ ما دام بضوابطٍ شرعيةٍ ـ وإلا لكانت فظاظة الطبع وغلاظة الحس أمورًا محبوبة، وإنما يُبيح الإسلام الدعابة اللطيفة التي تروِّح عن الإنسان، وتُلطِّف من ثِقَل المتاعب التي تنتابه؛ لأن الإسلام دين واقعي يُراعي فطرة الإنسان وغريزته، ولذا كان الصحابة يمزحون ويتندرون في غير معصية الله؛ تلبية لنداء الفطرة، وتمكينًا للنفس على مواصلة السير في طريق الجد، فعن أبي هريرة ﷺ قال: "قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا، قال: نعم، إني لا أقول إلا حقًّا".

• لا يخلو عصر من العصور من علماء فيهم دُعابة ولهم روح خفيفة لا تخرم مروءة ولا تطعن في عدالة ولا تمس دينًا، فلماذا ينكرون على أبي هريرة ﷺ أمرًا لا يُعاب به شخص أصلًا؟! بل العيب فيمن نُزِعت الرأفة والرحمة من قلبه؛ فصار عبوسًا متجهمًا لا تتفق طبيعته والدعابة والمرح.

• الممازحة والمداعبة بين الأصدقاء والزملاء أمر لا حرج فيه، بل قد يكون سببًا لتقريب النفوس وائتلاف القلوب، وزيادة الترابط والمعرفة، وربما رفع الكُلفة وإزالة الحواجز الجليدية بين الأصدقاء.

• الممازحة والملاطفة والترويح عن النفس بالطرف والمسامرة بالحديث أمر يحقق للنفس الاسترخاء، ويجلو عنها الكآبة، ويزيل الجمود والكسل، وربما أدخل عليها السرور والنشاط الداعي إلى العمل والإنتاج واستغلال الأوقات، وإنجاز المهام بروح عالية وهمم مُتَّقدة؛ فقد روي عن علي ﷺ قوله: "اجمعوا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة فإنها تملُّ كما تملُّ الأبدان".

• إن ما يُخشَى منه على الخيرين والمُصلحين المغالاة في الممازحة والإفراط، فيذكر الطُّرَف حتى تتحول مجالسهم إلى نوادر للفكاهة يقضي المرء جُلَّ وقته

® في "حقيقة مزاح النبي وضوابط المزاح الشرعي" طالع: الوجه الثاني، من الشبهة الثامنة عشرة، من الجزء التاسع (النبوات).

مستمعًا لطرفة دونما فائدة مرجُوَّة، فيذهب بذلك وقار الصالحين وسمت المصلحين.

ويؤلم أيضًا أن تكون مدارات الحديث حول سفاسف الأمور ومحقراتها من متاع الدنيا وزينتها، فيظن الرائي أن لا هَمَّ لهؤلاء إلا هذه القضايا، ولا غاية لهم إلا تحقيقها، وليس ذلك فحسب، بل يتجاوز الأمر -أحيانًا- حدًّا يُخشى على المتحدثين أن يقعوا في الويل الذي توعَّد به رسول الله ﷺ من يُحدِّث بالحديث؛ ليضحك به القوم، فقال: "ويل له... ويل له".

الشبهة العاشرة

دعوى تسمية أبي هريرة ﷺ بشيخ المَضيرة(*)

مضمون الشبهة:

يدعي بعض المشككين أن أبا هريرة ﷺ كان يحب طعامًا اسمه المضيرة[1] ولذا عُرف به فسمِّيَ "شيخ المضيرة". ويستدلون على ذلك بأن أبا هريرة كان يأكلها مع معاوية ﷺ، فإذا حضرت الصلاة صلَّى خلف عليٍّ ﷺ فإذا قيل له في ذلك، قال: "مضيرة معاوية أدسم وأطيب، والصلاة خلف عليٍّ أفضل".

رامين من وراء ذلك التقليل من شأن أبي هريرة ﷺ وتشويه صورته.

وجها إبطال الشبهة:

١) إن هذه الرواية لم تصح نقلًا ولا توافق عقلًا؛ فالثابت أن عليًّا ﷺ كان بالعراق، ومعاوية ﷺ بالشام، وأبا هريرة ﷺ كان مقيمًا بالحجاز لم يغادره بعد عزله عن إمارة البحرين في عهد عمر ﷺ، فكيف يأكل مع معاوية في الشام، ويصلي خلف علي بالعراق، وهو مقيم أصلًا بالحجاز؟!

٢) إذا افترضنا جدلًا صحة هذه الرواية فإن حب أبي هريرة للمضيرة لا يطعن في عدالته، وما المانع شرعًا أو عقلًا أن يحب الإنسان لونًا معينًا من أنواع الطعام؟!

التفصيل:

أولا. رواية موضوعة يكذبها التاريخ والواقع:

إن المتأمل في أحداث التاريخ يجدها تكذِّب تلك الرواية التي يعتمد عليها المفترون؛ إذ كيف تصح هذه الرواية في العقول، وعليٌّ ﷺ كان في العراق، ومعاوية ﷺ كان بالشام، وأبو هريرة ﷺ كان بالحجاز؟! إذ الثابت أنه بعد أن تولى إمارة البحرين في عهد عمر ﷺ لم يُفارق الحجاز، فقد "استعمله عمر على البحرين، ثم عزله، ثم أراده على العمل فأبى عليه، ولم يزل يسكن المدينة، وبها كانت وفاته"[2].

فكيف يأكل أبو هريرة المضيرة مع معاوية في الشام، ثم يقوم ليُصلِّي خلف علي في العراق، اللهم إلا إذا كان أصحاب هذه الشبهة يرون أن أبا هريرة أُعطي بساط

(*) دفاع عن السنة، د. محمد محمد أبو شهبة، مرجع سابق.

١. المضيرة: مريقة تُطبخ بلبن وأشياء، وقيل: هي طبيخ يُتَّخذ من اللبن الحامض. قال أبو منصور: المضيرة عند العرب أن تُطبخ اللحم باللبن البحت الصريح الذي قد حذى اللسان حتى ينضج اللحم وتخثر المضيرة. [انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة: مضر].

٢. سبل الهدى والرشاد، الصالحي، مرجع سابق، (١١/ ٤٣٦٨).